بسم الله الرحمن الرحيم

صوت البحرين

العدد ٩٧، فبراير ١٩٩١م، رجب/شعبان ١٤١١هـ

نشرة شهرية تصدرها حركة احرار البحرين الاسلامية

صوت الحركة الاسلامية في البحرين

حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل

واخيرا وقعت الحرب في منطقة الخليج، وهي حرب شرسة للغاية، بل لعلها الاكثر شراسة منذ الحرب العالمية الثانية، ففيها تستعمل احدث انواع الاسلحة والمعدات الحربية، فهي حرب تكنولوجيا واقمار صناعية وتعتمد على المعلومات الدقيقة اولا وقبل كل شيء. الحرب حدثت هذه المرة بقرار اقليمي ـ دولي، وبالتالي فهي ليست من الحروب الغامضة الاهداف والنتائج. ولا نستطيع هنا الا الاعتراف بان السبب المباشر لهذه الحرب هو الغزو العراقي لارض الكويت الشقيقة في الثاني من اغسطس العام الماضي، وتشريد اهلها وتخريب ارضها. هذه الجريمة فاجأت العالم كله فتحرك لشجب العدوان واقر العمل لوضع نهاية له. وبدأ هنا العمل بالضغط السياسي والاقتصادي، وعلى مدى خمسة شهور كاملة كان العالم يامل ان يتراجع العراق عن موقفه وينسحب من ارض الكويت الآمنة ويسمح لشعبها باختيار النظام الملائم له. ولكنه لم يفعل ذلك، بل اصر على مبدأ الاحتلال، بل وضم الكويت الى العراق، متحديا بذلك مشاعر الناس داخل البلاد وخارجها.

في هذه الاثناء كانت للغرب، وخصوصا الولايات المتحدة الامريكية، اسبابها الخاصة لتوجيه الراي العام والموقف نحو طريق اللاعودة. فمنعت نجاح اية مبادرة سلمية لانها كان مصممة على الحرب لاسباب عديدة منها:

١ـ السيطرة على منابع النفط لتامين تدفقه خلال العقود المقبلة. وهناك دوافع اقتصادية شجعت واشنطن على هذا الموقف ومنها الرغبة في كبح الجماح الاقتصادي لكل من اليابان والمانيا، وهما الدولتان اللتان استطاعتا ان تصبحا قوتين اقتصاديتين عظميين في العالم رغم هزيمتهما المنكرة في الحرب العالمية الثانية.

٢ـ تامين حدود «اسرائيل» وحمل العرب والمسلمين على الاعتراف بوجودها. وقد شهدت الحرب حتى الآن تحركات امريكية واضحة لحماية الكيان الصهيوني. ومن ذلك نصب دفاعات صاروخية على الحدود الاسرائيلية لضرب اي صاروخ عراقي موجه الى الارض المحتلة. وقد عبر الرئيس الامريكي، جورج بوش، عن تصميمه على توفير الحماية اللازمة لـ «اسرائيل».

٣ـ اعادة رسم خريطة المنطقة ليصبح الوضع الجغراسياسي ملائما لاطروحة النظام العالمي الجديد الذي تتبناه الولايات المتحدة، والذي يقتضي تغييرات جوهرية في البنية السياسية في العالم الثالث. ويتوقع ان تكون لهذه السياسة اثارها المباشرة في منطقة الخليج والعالم العربي خلال الشهور المقبلة وبالذات بعد انتهاء الحرب.

٤ـ كنتيجة مباشرة لما سبق، تقتضي السياسة الامريكية ان تصبح منطقة الخليج والشرق الاوسط قريبة من حالة نزع السلاح لتحقيق التفوق العسكري الاسرائيلي في المنطقة. وهذا يتاكد من خلال العمل العسكري الامريكي خلال الاسابيع الاخيرة، اي منذ بداية الحرب ضد العراق. فتحرير الكويت اصبح نتيجة جانبية مضمونة بعد ضرب الآلة العسكرية العراقية وهو الهدف، الذي يشكل جوهر السياسة الامريكية في الخليج. وهذا الهدف اصبح يثير حفيظة بعض الدول المشاركة في التحالف.

اما الآن وقد وقعت الحرب، فان الوضع اصبح اكثر تعقيدا خصوصا وان العراق يمارس مراوغات كثيرة من اجل اطالة الحرب والحاق اذى اكبر بالقوات المتحالفة. كما ان القرار العسكري تملكه الولايات المتحدة بشكل كامل، وكذلك استراتيجية الحرب والسلام. والحديث يدور الآن حول مستقبل المنطقة بعد انتهاء الحرب. وهذا الحديث يتطرق لمسالتين. فعلى صعيد مجلس التعاون، هناك شبه اجماع في الدوائر السياسية الخليجية والاجنبية على فشله الذريع، فبالرغم من وجود صيغة المجلس عشرة اعوام كاملة الا انه فشل في تحقيق اي من الاهداف التي وضعها ميثاق التاسيس في ما عدا التعاون الامني بين الانظمة الحاكمة. وجاء احتلال العراق للكويت ليثبت الفشل الذريع لهذا المجلس، حيث عجزت قوات درع الجزيرة المتمركزة في قاعدة حفر الباطن التي لا تبعد عن الكويت سوى ٥٠ ميلا عن اطلاق رصاصة واحدة بوجه قوات الاحتلال العراقية. هذا بالرغم من صفقات التسلح المليارية، وبالتالي فهناك حاجة ماسة لاعادة النظر في التشكيلات الامنية في المنطقة لتتجاوز صيغة المجلس وتاخذ في اعتبارها الاوضاع الجديدة. وعلى صعيد الاوضاع الداخلية، فان هناك رغبة شعبية كبيرة في اجراء اصلاحات سياسية جذرية ليعيش الناس في مجتمعاتهم وهم يشعرون بالكرامة بعد عقود من القمع السلطوي

البقية على صفحة ٤

علماء الدين يطالبون بالشورى

صعد علماء الدين السنة والشيعة من انتقاداتهم لحكومة آل خليفة وركزوا في مطالبهم على الانفتاح السياسي والمشاركة الشعبية من خلال الشورى والحياة البرلمانية. ففي عدد من خطب الجمعة دعا الدكتور الشيخ عبداللطيف المحمود الى العمل بمبدأ الشورى واطلاق الحريات. وقال في احدى خطبه بان النظام المعمول به حاليا اثبته فشله من خلال احداث ازمة الخليج. وانتقد تلفزيون البحرين لعرضه الافلام الاجنبية الخلاعية والمتنافية مع الآداب الاسلامية. وطالب بمحاكمة القائمين على تحرير جريدة «اخبار الخليج» لعدم التزامها الصدق فيما تقول.

استمرار التسفير والاعتقال

اعتقلت مخابرات السلطة السيد صالح الحسيني مع عائلته بعد رجوعهم من النجف الأشرف بالعراق في مطلع شهر يناير الماضي. وكان السيد صالح قد قضى قرابة العشر سنوات من الدراسة الدينية في حوزة النجف الاشرف كان خلالها يرجع الى البحرين بين فترة واخرى. وبعد نشوب ازمة الخليج حزم حقائبه وعاد الى بلاده، الا ان المخابرات اعتقلته وسفرته الى ميناء بندر عباس في ايران. ولكن السلطات الايرانية رفضته واعادته الى البحرين. ومن ثم تم تسفيره مرة اخرى الى مطار شيراز، وهناك ايضا لم تقبله السلطات الايرانية وارجعته الى البحرين وتم اعتقاله مع عائلته ولا زال محتجزا في سجن المنامة بالقلعة.

سفينة الفساد

احدى السفن التي خصصتها الولايات المتحدة لجنودها للرقص وممارسة البغاء راسية في ميناء سلمان، حيث يقضي الجنود الامريكان اوقات المرح والفساد.

ويلاحظ ازدياد النساء من شرق آسيا (الفلبين، تايلند) في شوارع البحرين، من اللاتي استوردتهن الحكومة لممارسة البغاء برخص رسمية.

تقليص النشاط المصرفي

اعلن بنك الخليج الدولي الذي تملكه دول الخليج الست بالاضافة للعراق، عن تقليص انشطته بسبب المصاعب الناتجة عن ازمة الخليج. وتم الغاء دائرة كاملة في المقر الرئيسي بالبحرين وفصل قرابة ٦٠ موظفا، بالاضافة الى اغلاق مكاتب التمثيل في اليابان والمانيا وتحويل الفرع الرئيسي في سنغافورة الى مكتب تمثيل. وكان بنك الخليج الدولي احد المقرضين الرئيسيين للعراق خلال الثمانينات، ولكن العراق قرر عدم الايفاء بدفع ديونه بعد غزوه للكويت في ١٩٩٠/٨/٢. ومن جانب آخر اعلن بنك جيس منهاتن الامريكي عن ايقافه للانشطة التجارية المحلية والابقاء فقط على نشاط الاقشور. ويذكر ان افراد العائلة الحاكمة وبعض المقربين لهم قاموا بتحويل الكثير من رؤوس اموالهم خارج البحرين تحسبا لما قد يحدث اثناء الحرب التي بدأت في ١٧ يناير ١٩٩١.

دور امني لمصر

تشير بعض التصريحات من المسؤولين الغربيين ان امريكا عازمة على اعطاء دور الحفاظ على الامن الداخلي لدول الخليج لقوات مصرية بعد انتهاء الازمة الحالية، لعدم استطاعة القبائل السيطرة على الاوضاع الداخلية. والنظام الجديد الذي تسعى اليه الولايات المتحدة سوف يعتمد ـ كما يبدو ـ على حشد هذه القوات المصرية لابعاد صورة الاستعمار، مع ضمان السيطرة على قيادة هذه القوات. والحديث الجاري هذه الايام في البحرين ان امريكا تريد استبدال الجنرال البريطاني ايان هندرسون رئيس مخابرات آل خليفة بشخص مصري يحمل الجنسية الامريكية.

جزيرة قاروه الكويت

اعلنت القوات الامريكية عن استعادتها لجزيرة قاروه من القوات العراقية بتاريخ ١٩٩١/١/٢٤، اي بعد اسبوع من بدء القتال، وان القوات الامريكية رفعت العلم الكويتي على الجزيرة. الا ان الطريف في الامر ان السعودية كانت دائما تدعي ملكيتها للجزيرة وكانت السعودية نفسها قد احتلتها لفترة قصيرة عام ١٩٨٩. وقامت بتهديد آل الصباح باحتلالها الى الابد فيما لو سمحت باعادة البرلمان السابق الذي تم حله. واهمية جزيرة قاروه نابعة من اهمية المنطقة المحيطة بالجزيرة والتي تحتوي على آبار غاز غنية. وملكية الجزيرة تحدد ملكية الآبار المستقبلية. وقد كانت للكويت في ٢ اغسطس بعد ان طالب العراق بحقه في حقل الرميلة، وهو الامر الذي حدى بالمراقبين السياسيين للاعتقاد ان التحرك العراقي حينها كان مؤامرة عراقية ـ سعودية بمباركة امريكية.

الحكم لله والتاريخ والاجيال

حتى كتابة هذه السطور لا يظهر ان البحرين تعرضت لهجوم صاروخي مم العراق. وفي الواقع ان معظم صواريخ باتريوت المضادة للجو التي تحمي الظهران والمنشآت العسكرية موجودة في الجزر تحت الاشراف المباشر للقوات الامريكية. وتذكر بعض التقارير الصحفية ان المنازل في البحرين تهتز كلما انطلقت صواريه باتريوت لاعتراض الصواريخ المهاجمة من العراق تجاه المنطقة الشرقية. كما تهتز المباني عندما تخترق الطائرات الامريكية والبريطانية حاجز الصوت محدثة دويا رهيبا في سماء البلاد.

كما تشير تقارير اخرى الى ان ابناء البحرين يعيشون حالة من الترقب والذعر خوفا من هجوم صواريخ سكود، وتنتشر في زوايا القرى والمدن سيارات الشرطة وقوة الدفاع وبها جنود ورجال شرطة مسلحون «لمنع اي تململ اجتماعي» حسب ما اشار اليه مراسل الفايننشال تايمز في البحرين، مارك نيكلسون. واشار المراسل الى ازدياد الدوريات المسلحة المؤللة والمرتجلة بعد غروب الشمس ولا سيما في شوارع المنامة.

وتشير تقارير اخرى الى عدم توفر الاقنعة الواقية من الغازات او الالبسة الواقية من الاسلحة الكيماوية وتوجد في السوق بعض انواع الاقنعة التي تكلف المواطن من ٣٠ الى ٤٠ دينارا. وقد قام العديد من الشباب بصنع اقنعة بدائية لوضعها على الوجه للوقاية من السلاح الكيماوي كما هو مبين في الصورة. ومن الجدير بالذكر ان الكيان الصهيوني قام بتوزيع اكثر من ٣ مليون قناع وسترة واقية على الفلسطين في فلسطين المحتلة وبالمجان. اما في البحرين وحتى الظهران والرياض، فان الاجانب فقط هم الذين يشاهدون وحول احزمتهم الحقائب التي تحوي الاقنعة والالبسة اللازمة.

وهكذا يقحم الشعب البحراني في مآسي السياسات الخاطئة لحكام الخليج ولا يتم معاونته حتى في احلك الظروف. فالمواطنون يعيشون حالة من الرعب والترقب نتيجة لهذه السياسات التي لم يكن لهم او لمن يختارون دور في رسمها أول الأمر.

وقد نجد من شبه المستحيل تحديد حجم المآسي التي يعيشها اهل البحرين من اندلاع هذه الحرب المجنونة. فالشعب البحراني الذي وقفت غالبيته ضد سياسات صدام حسين ومغامراته، وعارضت قادسيته المشؤومة ضد الجمهورية الاسلامية، وقدم ابناؤه التضحيات الكبيرة في السجون وشرد الكثير منهم لموقفه هذا من صدام، يتعرض الى اشد محنة في تاريخه. ولو استمع حكام الخليج لمنطق العقل وامتنعوا عن تأييد سياسات صدام المجنونة، لما وصل النظام العراقي الى م وصل اليه من العجرفة والغرور بحيث يتحدى العالم ويستدعي قوى العدوان الامريكي لتحتل المنطقة وتدمرها.

واليوم، يحرم ابناؤه وبناته من الدراسة، وتزداد نسبة البطالة في اوساطهم ويعيشون تحت احتمال احتراق الجزر وتدميرها بصواريخ صدام التي اشترتها اموال الشعب الخليجي من قبل. ومثل البحرين يعاني ابناء السعودية والامارات وقطر من مصائب السياسات الخليجية الخاطئة. والاعظم هي مأساة الشعب الكويتي والشعب العراقي اللذين يتعرضان للتشريد والدمار على ايدي امراء الحرب في بغداد والرياض والقاهرة وواشنطن ولندن وباريس.

ملامح المستقبل

والسؤال الملح هو: اذا كانت هذه المصائب التي نمر بها هي ثمار للسياسات الخاطئة التي صبغت الحكم في المنطقة، فما هو يا ترى مستقبل الخليج؟

وليس من السهل الاجابة على هذا السؤال، ما دامت الطائرات تدمر بغداد والمدن العراقية، وما دامت ١٢٠ سفينة حربية تناور في مياه الخليج وما دامت المدافع والدبابات ترمي بحممها وما دامت صواريخ صدام تدك مدن

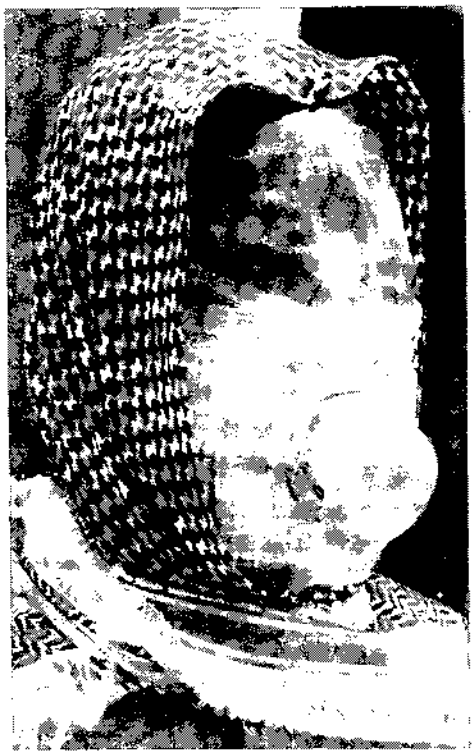

السعودية وغيرها. فحتى تنتهي المعارك لن تتضح ملامح المستقبل، وبناءا على النتيجة النهائية وتفاصيل الخسائر والدمار سيختار حكام الخليج الطريق المناسب لبقاء حكمهم.

وفي واشنطن ولندن وباريس والرياض تجري المناقشات لتحديد مستقبل المنطقة، والاجراءات الامنية اللازمة لفترة ما بعد الحرب. وفي كل هذه العواصم يغيب الصوت الاهم، صوت ابناء الخليج والشعب الذي عانى وسيعاني اكثر من المواجهة القائمة. ولعل الغياب الشعبي عن تحديد مستقبل المنطقة ليس غريبا في عالم السياسة المحلية والدولية، ولكنه في هذه المرة يتعرض للانوار الكاشفة.

ومما لا شك فيه ان مجريات الحرب ستقرر طبيعة صورة السلام، واين موقف هذا الحاكم الخليجي او ذاك من المشاركة الشعبية. اما اقامة حياة دستورية وديمقراطية في دول الخليج فسوف تعتمد على نصائح الاسياد في امريكا واوروبا، وهذه النصائح هدفها ضمان المصالح الغربية والهيمنة الامريكية على منابع النفط وعلى الوضع الاستراتيجي في منطقة الشرق الاوسط ككل. وبكلمة اخرى ستعتمد على جواب السؤال الذي يردده حكام الخليج هذه الايام، الا وهو: كيف نضمن بقاء حكمنا بعد هذا الزلزال؟

غير ان عناصر جديدة سوف تبرز الى الساحة، رضي الحاكمون ام ابوا. واهمها موقف ابناء الشعب الكويتي من آل الصباح وموقف ابناء الشعب السعودي من آل سعود وموقف اهل البحرين من آل خليفة وهكذا. فالتسييس الضخم الذي ولدته الاحداث الاخيرة من جهة وتشابك المصالح النفطية العربية بمفاهيم العلاقات الاجتماعية كالديمقراطية من جهة اخرى لن يتركا مجالا لمشايخ القبائل المتسلطة الا الرضوخ لمنطق التغيير التاريخي

مع ذلك فقد علمنا تاريخ الخليج ان نكون واقعيين. فاذا انتهت الحرب بهزيمة سهلة للعراقيين، وغلبة حاسمة للامريكان وحلفائهم فستشهد المنطقة فترة من الحدية في تعامل الحكام مع شعوبهم، وسيجازونهم بزيادة النشاطات البوليسية وربما فرض الاحكام العرفية بدعوى الخوف من ردة الفعل الشعبي على القوى العسكرية الاجنبية. وقد تستمر القبضة الحديدية الى سنوات. اما لو قاوم العراقيون في الكويت (ونشك في ذلك)، بحيث ازدادت الخسائر الغربية في المجال البشري فسيزداد الضغط من قبل الشارع الغربي على حكوماته مما سيساهم في تعرية انظمة الحكم في الخليج. هذا من جانب، ومن جانب آخر سيزداد التململ الشعبي اذا ازدادت الخسائر في صفوف العراقيين، مدنيين كانوا ام عسكريين، وستحاول الحكومات تقديم الوعود لابناء الخليج بحياة ديمقراطية، وصحافة نزيهة، ومحاسبة شعبية بعد انتهاء الازمة، لكي تخفف من غضبهم على ما يجري من سفك للدماء وتدمير للاوطان.

غير ان حكم التاريخ سيحدد الجاني، وستسأل الاجيال حكام الخليج عن حقائق هذه الحقبة. كيف تقصف بغداد، والبصرة من قبل طائرات تغادر المحرق والظهران والرياض؟ كيف تقصف الرياض والظهران من صواريخ منصوبة في البصرة والكويت؟ كيف يقتل ابن نجد ابناء العراق، وكيف يقتل العراقيون ابناء الكويت؟ كيف موّلنا جيش العراق ليقتل ابناء ايران من قبل؟ وهناك قائمة من الاسئلة المحرجة التي ستواجه الحكام، ولن يغفر التاريخ، ولن تغفر الأجيال لكل من كان له دور في تقوية صدام من قبل، وتدمير الكويت العراق فيما بعد.

معاناة الصيادين المحترفين

تفاقمت مشكلة الصيادين المحترفين مؤخرا، وهي في الحقيقة ليست مشكلة واحدة، اذ ان النظام كلما استشعر جرائمه تخبط اكثر فاكثر، واخذ يزداد عتوا وغلظة على المواطنين الضعفاء من ابناء شعبنا ومنهم «الصيادون». فمن قبل اصدرت وزارة الداخلية بالتعاون مع وزارة التجارة والزراعة قرارات بوليسية تمنع كل صاحب سفينة صغيرة كانت ام كبيرة من دخول البحر قبل ان يستصدر لها بطاقة خاصة تحمل اسما ورقما وختما ساري المفعول من قبل الجهات المختصة في وزارة الداخلية، مع وضع اسم القارب او السفينة على محل بارز فيها، كما يجب عليه حمل البطاقة الشخصية، واوراق تثبت ملكية السفينة، واذا اصطحب معه آخرين، حينذاك يجب عليهم حمل بطاقاتهم الشخصية معهم.

ومن الاجراءات ايضا انه يجب على الصيادين حال رجوعهم للبر ان يمروا بنقاط التفتيش في عرض البحر وهي عبارة عن بوارج عسكرية تابعة الى ادارة خفر السواحل بوزارة الداخلية، وهذه الخطوة في حد ذاتها قد سببت الكثير من الحرج والتعب لكافة الصيادين، الذين يتوجب عليهم المرور بتلك النقاط لكي يتسنى لهم الوصول للبر، والا فإن اي سفينة تتخلف عن القدوم لنقطة التفتيش، فانها تتعرض للمطاردة من قبل زوارق سريعة تابعة لادارة خفر السواحل، واذا ما وصلت السفن التي لم تمر بنقطة التفتيش الى الساحل فان سيارات «الجيب» التابعة لوزارة الداخلية بانتظار الصياد، وبالتالي فانه يتعرض للاعتقال والتحقيق والغرامة والقبض على بعضهم. وهذا دفع الصيادين البحرانيين لابلاغ السلطات عن هذه التجاوزات والمخالفات الصريحة من قبل سفن الصيد السعودية المحملة بالبحارة الاجانب.

وقد تفاقمت بالفعل هذه المشكلة، وتمت مشاورات بين الجانبين البحراني والسعودي. وعلى ما يبدو فإن قرار ادارة خفر السواحل السعودية الذي يمنع اي سفينة صيد سعودية لا تحمل قبطانا سعوديا من الابحار ناتج عن كثرة مثل هذه الحوادث. ولكن سرعان ما تبخرت آمال الصيادين البحرانيين بعد ان حصل التسيب في تطبيق هذا القانون من جهة، او في اعتماد مالكي السفن السعوديين على ربان غير متمرس او حديث السن من جهة اخرى. وقد عادت المشكلة كما كانت.

هذا وقد كان للصيادين، بعد ان كثرت شكاويهم لقاء مع المسؤول الاول في ادارة خفر السواحل بوزارة الداخلية البحرانية، الشيخ عبد العزيز عطية آل خليفة. وقد طرحوا عليه الكثير مما يعانون منه من مشاكل. والطريف انه حينما اشتكى اليه احد الصيادين من ان افراد شرطة خفر السواحل يلقون بالسمك من داخل البرادات الى سطح «البارجة» الحديدي في جو الخليج اللاهب خصوصا صيفا، وذلك من اجل التفتيش، (مما يسبب التلف السريع للسمك) وطلب منه التخفيف، اجاب عطية الله آل خليفة: ان هذه اوامر عسكرية، ولك من يقصر في تنفيذها من افراد الشرطة فانني سأعاقبه شخصيا؟! وصدق من قال:

اذا كان خصمي حاكمي كيف اصنع

لمن اشتكي من حاكمي لمن اتوجع

تسرب الزيت في الخليج يزيد الطين بلة

يختلف علماء البيئة حول تأثير التلوث الناتج من حرب الخليج على العالم لكنهم يتفقون على اضراره الاقليمية. الا انه من الصعب تحديد هذه الاضرار بدقة وذلك نتيجة لاسباب رئيسية ثلاثة. ابتداءا يمكن الجزم بانه لا احد يعرف بالضبط ما يمكن ان تكون عليه المعارك بين الجهتين المتحاربتين. حتى الآن اقتصر الصراع على قصف جوي وصاروخي من قبل القوات المتحالفة لمختلف المواقع العسكرية والاستراتيجية العراقية بما في ذلك من اماكن سكنية. وقد شمل هذا القصف ضرب المفاعلات النووية وآبار النفط ومصانع التكرير وغيرها من مختلف المصانع في مختلف المناطق العراقية.

في مقابل ذلك تركزت الاعمال العسكرية العراقية على استخدام صواريخ سكود في ضرب المناطق السكنية ومصانع تكرير النفط والقواعد العسكرية في السعودية. الشيء الاكيد هو ان تدمير اي مصنع يساهم، ولو بشكل محدود، في تلويث البيئة. كما ان طبيعة المعارك يمكن ان تتغير في اي لحظة مما يؤدي الى احداث تدمير اكثر. ان التاريخ الحديث، وهذا ثانيا، لم يعرف حربا تدميرية على هذا النطاق الواسع في منطقة تعتبر من اكثر المناطق العالمية القابلة للتدمير. فآبار النفط تمتد من شمال الخليج الى جنوبه، في البحر وعلى اليابسة. كما ان المنطقة الخليجية عموما تعتبر من اكثر الاماكن التي تحتوي معامل تكرير النفط، فهي قابلة للانفجار كالبارود.

ويمكن الاشارة هنا الى ان الخبرة العالمية في مجال التلوث النفطي محدودة جدا خاصة تلك التي تحدث على نطاق واسع. فلا يمكن بحال من الاحوال مقارنة التلوث الذي اصاب الاسكا في العام ١٩٩٠ نتيجة تسرب النفط من الناقلة «اكسون فالديس» بما يمكن ان يحدث في الخليج. فهناك مجموع النفط المتسرب لم يزد على ٢٦٠ الف برميل. اما اهم تلوث حصل في الخليج، قبل اندلاع الحرب الحالية، فكان في العام ١٩٨٣ عندما ضرب العراق، وبمساعدة الدول العربية في الخليج في ذلك الوقت، حقل نوروز النفطي الايراني مما ادى الى تسرب مليوني برميل من النفط الى مياه الخليج. ومع ان هذه الكمية كانت قليلة بحسابات التلوث الحالي، الا ان آثاره السلبية بقيت لسنين عديدة. وقتها كان واضحا تلوث شواطىء الخليج مما يجعل استعمال شواطىء البحر امرا متعذرا.

اما المسألة الثالثة فهي سياسة التضليل التي يمارسها الطرفان المتحاربان. فهناك اخبار غير مؤكدة مصدرها اعلام القوات المتحالفة مفادها ان العراق لغم كل حقول النفط الكويتية التي يقدر عددها بـ ٣٦٠ بئرا. وفي حين يدعي العراق ان النفط الذي لوث الخليج حتى الآن مصدره ناقلات النفط المرابطة في الموانيء الكويتية التي تم قصفها من قبل القوات الاميركية، يصر الاميركيون على ان العراق راح يضخ النفط من خزانات النفط الكويتية الى مياه الخليج لتحقيق اهداف عسكرية. وهناك تكتم من قبل الاميركيين حول الاسلحة النووية في المنطقة. بعض المصادر الغربية اكدت ان هناك ما لا يقل عن ٧٠٠ رأس نووي في منطقة النزاع. منها ٣٠٠ في تركيا و ٤٠٠ تحملها السفن في بحار المنطقة. وامام المخاوف من استخدامها بهدف جعل المعركة قصيرة يجد الامريكيون انفسهم مضطرين الى نفي ان يكون لهم اسلحة نووية او بيولوجية في هذه المنطقة.

للخليج خصائص تجعله اكثر من غيره من البحار عرضة للتلوث النفطي. فهو حوض شبه مغلق ومخرجه عند مضيق هرمز ضيق نسبيا، اذ لا يتجاوز عرض هذا المضيق ٥٥ كيلومترا. كذلك فإن مياهه ضحلة واعمق نقطة فيه لا تتعدى ١١٠ اقدام. هذه العوامل مجتمعة تجعله اقل من غيره من المياه قدرة على التخلص من النفط الخام الذي يرمى فيه.

ان اهم مصادر التلوث التي يجري الحديث عنها الآن هو النفط. واذا صدقنا بأن النفط المتدفق الى مياه الخليج قد توقف فان الدخان الناتج عن احتراق البترول في خزانات حقل الوفرة في جنوب الكويت ومنطقة الشعيبة الصناعية شمالي ميناء الاحمدي ثبت انه كان كافيا لاحداث اضرار جسيمة في المنطقة. فقد قالت ايران ان امطارا سوداء هطلت في الايام الماضية على المنطقة الجنوبية من ايران. وتفيد المعلومات الاولية انها كانت نتيجة هذا الدخان. الامر المؤكد ان كثيرا من الاحياء البحرية بما فيها الاسماك والروبيان وغيرهما سوف تموت بسبب التلوث النفطي الامر الذي يعني حرمان المنطقة من كثير من الخيرات الطبيعية، وكذلك انتشار البطالة بين العاملين في هذا الحقل من الصيادين وباعة الاسماك.

وبدا واضحا الآن، وعلى الرغم من ان الحرب لا زالت في ايامها الاولى، ان هذا التلوث صار يهدد باغلاق معامل تحلية المياه التي تعتمد عليها الكويت والسعودية والبحرين وقطر والامارات. وهناك خلاف بين علماء البيئة حول الاضرار الناتجة عن احتراق كميات كبيرة من النفط الا ان الغازات والمواد كثاني اوكسيد الكربون وثاني كبريتيد الكربون وحامض النيتريك وحامض الكبريتيك ضارة بالكائنات الحية عموما فضلا عن الانسان. ويمكن لنا ان نتصور الاضرار الناتجة عن هذه الحرائق اذا استمرت الحرب لفترة طويلة.

اما النوع الآخر الذي لا يستبعد حدوثه في المنطقة فهو التلوث النووي. فقد ادعى الحلفاء ان قواتهم دمرت تماما المفاعلات النووية العراقية، الا انهم قللوا من اهمية التسرب النووي الناتج من هذه المفاعلات على اعتبار ان كمية المواد المشعة المستخدمة ليست كبيرة كما حدث في كارثة جرنوبل في الاتحاد السوفياتي. الا ان الانشغال بالحرب يجعل التحقيق في مثل هذه الاضرار امرا ثانويا في هذا الوقت. اما اضرارها الحقيقية فسوف تعرف ولو بعد حين. اما الاسلحة الكيمياوية فاضرارها على الانسان وليس لها اي اثر يذكر على البيئة. والاسلحة البيولوجية التي يمكن استخدامها في حروب اليوم كثيرة منها التيفوئيد والكوليرا والبوتشيولين وكذلك الانتراكس وهي الوحيدة التي تبقى في الارض لفترة طويلة ويمكن ان تسبب اضرارا للانسان على المدى البعيد.

ان منظر الطيور الميتة بعد ان صبغت بلون النفط الاسود وتلك التي تلطخت به وهي في طريقها الى الهلاك فوق شواطىء الخليج يعكس حجم الكارثة الى حد بعيد.

الا ان الدمار القادم، اذا ما اتسعت المعارك التي لا تميز بين الانسان المدني وغيره من العسكريين، فان الخطر الذي يهدد المنطقة خطير حقا وهذا ما لا ترضاه شعوب المنطقة قطعا□

شعب الخليج يدفع فاتورة التدمير والاعمار

حرب اخرى تشتعل في الخليج مدشنة عقداً جديداً في حياة المنطقة. فكان كل عقد من الزمن لا بد أن يبدأ بحرب. فرحنا يوم انطفأت نار الحرب العراقية ـ الايرانية قبل ثلاثين شهراً، ودعونا الله ان تكون آخر الحروب ولكن ما لبثنا ان تأكدنا الانفاس حتى فوجئنا بشعلة الحرب تندلع من جديد. والامر المشترك بين الحربين هو هذا الحاكم الجالس على رأس العراق. انطلقت قواته في خريف عام ٨٠ شرقاً لتدمر بلداً آمناً قرر اختيار الاسلام بديلاً لحكمه، واستمر النزاع ثمانية اعوام كاملة لتنتهي من حيث ابتدأت. حيث رجع كل فريق الى حدوده التي كانت محور النزاع وأعيدت الحياة الى الطائفية الجزائر التي وقعها البلدان عام ١٩٧٥ بعد أن مزقها رئيس العراق قبيل ايام من غزو اراضي ايران. ولقد رفعنا اصواتنا عالية مدوية ضد الحرب. وحينها انتهينا مثل النهم ودعتنا بكل النعوت. فالقوم كانوا يقولون انها حرب عربية ضد العدو الفارسي، وتحمل شعبنا الخليجي اصناف العذاب لوقائه المنطوية للحرب. وما يزال يعاني من تلك المآسي حتى اليوم.

ولم يمر عام على وقف الحرب بين العراق وايران عامان حتى تدحرجت كرة الحرب مرة اخرى، واذا بقوات القائد القادسية تتحرك جنوباً لتحتل بلداً خليجياً آخر اصغر حجماً واقل قدرة على المقاومة لم يصدق أحد الحدث في بادىء الامر ولكن سرعان ما اتضح ان الجيش العربي «المنتصر» في القادسية قد انقض على جار آخر فالتهمه. ولكن الامر هذه المرة مختلف في نظر البعض. فالنزاع انما هو بين جيش يخطط لضرب «اسرائيل» وتحرير فلسطين وبين بلد صغير يحتفظ باموالة في المصارف الغربية ومؤسسات الاستثمار الاجنبية. وما ان حدث الاحتلال العراقي حتى كان «خادم الحرمين الشريفين» يستنجد بأسياده لحمايته من الذئب الذي سهروا على رعايته وأشبعوه فيه حتى لم تعد الارض تتسع له. وهنا تتراكم الاخطاء بعضها فوق بعض. فمنطق المال هو الذي يقرر المواقف والسياسات. وخادم الحرمين الشريفين الذي ضخ اكثر من ٢٥ مليار دولار في آلة الحرب العراقية ضد ايران تشجعاً بذلك منطق الحرب وروح الحمية القومية يقف خائفاً من منامه ليتصل بالاسياد في واشنطن. ومن هنا تبدأ الدوامة.

وتمر شهور خمسة والعراق لا يبدي اي استعداد للانسحاب، ويعقد الموقف بخلط الاوراق وربط القضايا، وتفشل كل محاولات السلام بينما تتحرك اميركا على محورين تكديس القوات الاميركية في الخليج ومنع تبلور اي حل سلمي للأزمة. فقضية اميركا اكبر من تحرير الكويت، وامن «اسرائيل» له الاولوية في كل السياسات والمواقف. وتأتي قضية الكويت لتكون سبباً للعمل العسكري الاميركي ضد اكبر جيش عربي يمتلك من الامكانات ما يمكنه من ابراز تحد حقيقي للكيان الصهيوني. وهنا لا نريد ان نتمشى مع الذين يدعون بأن صدام حسين جاد في مواجهة قوات الاحتلال الصهيونية، فسيرته لا تشير الى ذلك ابداً. ولكننا نفرق بين امرين: حاكم العراق وحزبه وهما حالة مؤقتة مهما امتد بهما العمر، والعراق كبلد له قدرات متميزة وجيش عملاق. صحيح ان تاريخ هذا الجيش حافل بالعدوان ضد الجيران وضد المواطنين على حد السواء، ولكن هذه الحالة انما هي خاضعة للقرار السياسي في بغداد، ولذلك فلا نعتقد ان تدمير العراق امر مشروع.

ان الحرب القائمة الآن بين القوات الاميركية تدعمها قوات قليلة نسبياً من دول حليفة اخرى، وهي حرب ضروس بدأ الخليج يدفع ثمنها غالياً. فبالاضافة للمليارات الدولارات التي قدمت، وما تزال تقدم لقوات التحالف، فان شعب الخليج يعاني من القلق المستمر من ردود الفعل العراقية التي فقد الراحة والاطمئنان والثقة بجدوى الحياة في ضوء هذه المحن المستمرة. و المنطقة تعاني من دمار لم يسبق له مثيل لم ينته بعد بل هو مستمر حتى حين والخليج اصبح ملوثاً بالنفط حتى ان هناك اجماعاً على ان الكارثة البيئية هي الاكبر من نوعها في العالم. هذا في الوقت الذي لا تبدو فيه نهاية للكوارث والمآسي ولا مكان فيه للشعب على اي صعيد سوى تلقي الضربات والاهانات. فمن هو المستفيد من هذه الحرب بعد كل هذا ومن هو السبب في وصول الامور الى ما وصلت اليه؟ ولماذا يدفع شعب الخليج الاثمان الباهضة لاخطاء حكامه؟ واخيراً لماذا ندفع ثمن تدمير المنطقة خلال الحرب ثم ندفع للجهات نفسها ثمن الاعمار بعد انتهاء الازمة؟

خواطر بحرانية

هندرسون:

قائد القوات الجوية البريطانية في البحرين يسمى ديفيد هندرسون، ولا نعرف ان كان له علاقة بأيان هندرسون رئيس المخابرات البحرانية الذي عنده ولد اسمه ديفيد. ويقال أن حكومة البحرين، عندما امرها البريطانيون باعداد قاعدة المحرق الجوية لطائرات التورنيدو والجاغوار، ارسلت برقية عاجلة تعلن استعدادها الكامل على شرط ان يكون القائد اسمه هندرسون، لان اهل البحرين متعودون على هذا الاسم وسوف لا يجدون غرابة في رؤيته وسماعه يتكلم اذا عرفوا ان اسمه على اسم الحاكم الفعلي للجزيرة. وفي رواية اخرى ان العكس هو الصحيح. اي ان البحرين اعترضت على وجود ديفيد هندرسون نظرا لما سيثيره ذلك من مشاعر عدم الرضا، الا ان المسؤولين في وزارة الدفاع البريطانية لم يعيروا الاحتجاج اذناً صاغية، واصروا كعادتهم، المضي قدماً في ارسال ديفيد الى المحرق، قائلين «ليس كل هندرسون، هندرسون».

مع السلامة

تحركت شركة طيران الخليج اخيرا واعلنت انها ستقيل الكثير من موظفيها الاجانب لعدم وجود وظائف لهم بعد ان توقفت ٩٠٪ من رحلات الشركة، وتم نقل ادارتها الى مسقط. ويذكر ان الشركة التي تملكها كل من البحرين وقطر وابو ظبي وعمان لديها خمسة آلاف موظف نصفهم من الاجانب. هذا وقد تم ارسال مذكرات لمدراء الاقسام بموافاتهم بقوائم الاجانب الذين سيستغنى عن خدماتهم. جميل!! وقبل ان يعتريك شعور بالفخر لوطنية طيران الخليج تذكر حقيقة واحدة، وهي ان معظم الاجانب قد غادروا الخليج ولا داعي لاقالتهم. فاذا تمت اقالتهم رسمياً فسيحصلون على تعويضات كبيرة، اما اذا تركوا العمل فلن يحصلوا على شيء، وكل ما يمكنهم المطالبة به هو تعويضات من شركات التأمين الاجنبية وليس من طيران الخليج. غير جميل!!، واذا عرف السبب بطل العجب، اذ يقال ان المدير الذي اقترح اقالة الاجانب هو نفسه اجنبي. حلو.

حوار حتى الموت

الخلاف القطري ـ البحراني ظهر جليا في المؤتمر الحادي عشر الاخير في الدوحة. فخلال الجلسة الاولى اعترض وفد البحرين على وضع قضية الجزر المتازع عليها على قائمة جدول الاعمال، وهددت البحرين باستدعاء قوات اجنبية لطرد قوات قطر اذا احتلت الدوحة جزر حوار.

غير ان التنافس ظهر على اشده بعد اندلاع الحرب. فقد اعلنت البحرين أن طائراتها المقاتلة (اف ١٦ وفانتوم) قد اغارت على قوات عراقية داخل الكويت، وعادت الى قواعدها سالمة، والله تمام. ولم تمض ٢٤ ساعة حتى اعلنت قطر، نعم قطر.. ان طائراتها المقاتلة اغارت على مواقع داخل العراق وعادت الى قواعدها.. ماذا؟ سالمة طبعاً. طائرات قطر هي من نوع ميراج. ولا يسمح لميراج بالتحليق في سماء المعركة خوفا من اسقاطها من قبل قوات امريكا وحلفائها لانها تشبه الطائرات العراقية. المهم الجماعة ضربوا لان طائرات البحرين ضربت كما قالت قوة الدفاع.

اهم تنافس طبعا كان الخلاف حول صواريخ باتريوت الموجودة في البحرين لحماية الظهران. ولكن خليفة سالوا: اذا كانت الصواريخ اللي في البحرين تحمي المنطقة الشرقية للجزيرة العربية، فمن يحمي البحرين. عندها تقرر وضع صواريخ في قطر لحماية البحرين، الا ان آل خليفة احتجوا وطلبوا وضعها في جزر حوار ما غيرها. المشكلة ان قطر تعتقد ان جزر حوار تابعة لها ولذلك وضعت الصواريخ فيها بناءا على منطق ان كل دولة تستضيف الصواريخ لحماية الدولة المجاورة، والبحرين تظن شيئا آخر، ولله في جزيرة حوار شؤون.

خفي حنين

اذا كان هنا ادنى شك في مشاركة الطائرات البحرانية والقطرية وحتى العجمانية في المعارك، فلا شك ان الطائرات السعودية قد طارت من الظهران. في اليوم الاول للهجوم الامريكي على العراق، اعلنت السعودية انها أول من هجم، فاشهدوا لها عند الامير. وطارت ١٢ طائرة سعودية اقلعت من قاعدة الظهران، ولما عادت كانت حمولة ١١ منها لا زالت ملتصقة في الطائرة. وفي اليوم التالي عادت الست الطائرات السعودية بكامل حمولتها. وفي اليومين سأل الصحافيون الطيارين السعوديين عن سر عدم رمي حمولتهم كما فعل زملاؤهم الامريكان الذين يستخدمون نفس الطائرات ونفس الاسلحة. وكان رد الجماعة انهم لم يحصلوا على هدف يضربونه.

وفي رأينا انه اما الجماعة لم يجيدوا التخلص من الحمولة وهربوا لما شاهدوا صواريخ ارض ـ جو، او انهم طاروا وحلقوا في سماء تبوك ورجعوا، او انهم ظلوا الطريق فذهبوا للربع الخالي فلم يجدوا هدفا يضربونه. المهم الجماعة شاركوا، ولو انهم عادوا بخفي حنين.

وتسري في الأرساط العسكرية الغربية ان الطيار السعودي الذي اسقط طائرتين قريبا من اجواء الكويت معتقدا انهما عراقيتان لم يوفق في عمليته. وتقول هذه الاوساط ان الطائرتين اللتين تم اسقاطهما كانتا تابعتين للبحرين، ولله اعلم.

البحرين قدوة للكويت

المعارضة الكويتية زعلانة على آل صباح. ويقال ان اجتماعا في جدة في اواخر الشهر الماضي انتهى بمواجهة كلامية بين زعماء الحركة الدستورية

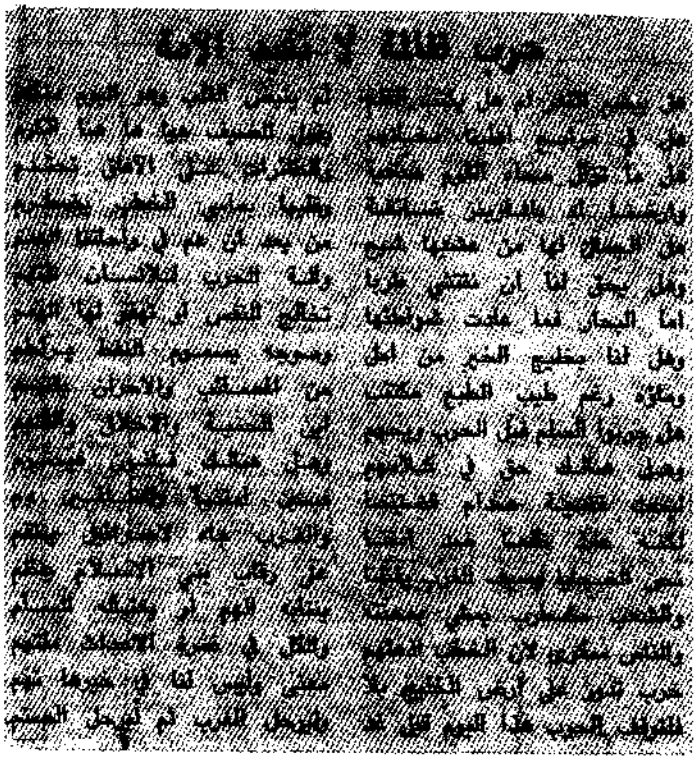

وولي العهد سعد العبد الله. ويقول بعض العارفين ان المعارضة استشفت من كلام الوزراء والامراء انهم سيعلنون الاحكام العرفية في الكويت لمدة قد تصل الى عامين، بحجة السيطرة على الاوضاع، وسوف تتنازل المعارضة عن طموحاتها بتحجيم دور آل الصباح الى مطالبة برفع الاحكام العرفية واطلاق سراح زعماءالمعارضة. واشار المصدر ان سعد العبد الله حاول تهدئة الجماعة بادعائه ان الاحكام العرفية ليست شيئا يستحيل العيش في ظله، وضرب مثالا على البحرين عندما قال «يا ربع كاهي البحرين تعيش في ظل الاحكام العرفية من يوم يابوني لهالحين، والناس لازالوا يتنفسون». الذي لا يعرفه سعد ان الناس بالكاد يتنفسون في البحرين.

حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ـ البقية ـ

والاستبداد القبلي. خصوصا وان قضية الكويت اوضحت ان التهديد لامن المنطقة لا يأتي من بناء الشعب وان الاستقرار لا يتحقق من سياسات القمع، بل ان حالة الاستبداد والتحكم الفردي من اسباب التداعي في البنية الداخلية والاضطراب السياسي.

المشكلة التي تواجه المنطقة الآن هي كيفية انهاء الحرب المشتعلة التي حركت في الكثيرين الشعور بالاسى وهم يشاهدون كيف تدمر المنطقة بشكل جنوني. فالخليج تغمره كارثة زيتية لا مثيل لها في التاريخ بعد ان دمرت منصات الشحن في ميناء الاحمدي بالكويت. هذا التلوث البيئي اصبح قضية الساعة لانه خطر فريد من نوعه من حيث آثاره. فحتى لو انتهت الحرب في غضون اسابيع قليلة، فان الآثار المترتبة على التلوث البيئي تتجاوز الحدود الزمنية وتمتد لعدة سنوات قادمة. الامر الذي يثير قلق ابناء الخليج. ففي البحرين مثلا يعيش عدد كبير من المواطنين معتمدين على مهنة صيد السمك، وهذه المهنة سوف تتضرر كثيرا بتلوث البحر بالنفط ولن يستطيعوا طلب رزقهم من هذا الطريق. كما ان الخليج كمنطقة متميزة بخيراتها المائية سوف تصبح منطقة خالية من الثروة البحرية بسبب التلوث المذكور.

يضاف الى ذلك ان وحدة المنطقة قد تفتتت خلال الشهور الاخيرة وبالذات منذ الغزو العراقي للكويت حيث اصبح العرب منقسمين على انفسهم ما بين مؤيد لتدخل القوات الاجنبية ومعارض له، واصبحت الدول العربية اكثر تمزقا من اي وقت مضى. كل ذلك بسبب مغامرات حاكم العراق الذي انطلق بدافع حب السيطرة والانانية والروح العدوانية للسيطرة على بلد مجاور آمن ليفتح بذلك ملف التدخل الاجنبي في المنطقة ويضعها على كف عفريت. وهنا يجدر بنا التاكيد على دور العوائل الحاكمة في الخليج في دعم صدام حسين ونظامه طوال عقد كامل من الزمن، حتى اذا اكتسب جيشه الخبرة الميدانية في الحرب مع ايران انقض على جيرانه للاحتلال والاهانة. ولولا الاموال الخليجية التي ضخت في آلة الحرب العراقية لما اصبح صدام حسين في الوضع الذي وجد نفسه فيه بعد انتهاء الحرب مع ايران. وهكذا تفشل سياسات حكام الخليج ويثبت ما قلناه خلال الحرب العراقية ـ الايرانية بان الدعم غير المحدود لنظام العراق سيرتد الى نحر المقامرين مع صدام، وهذا ماحدث فعلا.

رغم كل ذلك نؤكد معارضتنا للحرب في الخليج بالصورة التي تتم بها حالياً، خصوصا وان قرارها ليس بايدي ابناء المنطقة وان المنطقة تمر بحالة تدمير شاملة لا تقتصر على العراق بل تطال كافة البلدان الخليجية. وليس التلوث البيئي في الخليج الا واحدا من جوانب الضرر الكبير الحاصل في المنطقة. فهل تتوقف الحرب وينسحب صدام من الكويت وتنسحب القوات الاجنبية من الخليج. نتمنى ان يحدث ذلك عاجلا، فالكارثة كبيرة والجرح عميق، والشعب مغلوب على امره.